

تفسير البحر المحيط

@ 127 @ إسقاط حرف الجر أي شيء { يُرِيدُ اللّٰهُ أَنْ * لا * يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا }
فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ { بين تعالى أنَّ ما هم عليه من المسارعة في
الكفر هو بإرادة الله تعالى ، أنهم لا يهديهم إلى الإيمان ، فيكون لهم نصيب من نعيم الآخرة
 . فهذه تسلية منه تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم) في ترك الحرب ، لأن مراد الله منهم هو
 ما هم عليه ، ولهم بدل النعيم عذاب عظيم . قال الزمخشري : (فإن قلت) : هل قيل : لا
 يجعل الله لهم حظاً في الآخرة ، وأي فائدة في ذكر الإرادة ؟ (قلت) : فائدته الإشعار بأن
 الداعي إلى حرمانهم وتعذيبهم قد خلس خلوصاً لم يبق معه صارف قط ، حين يسارعون في الكفر
 تنبيهاً على تماديهم في الطغيان وبلوغهم الغاية فيه ، حتى أن أرحم الراحمين يريد أن لا
 يرحمهم انتهى . وفيه دسيعة اعتزال لأنه استشعر أن إرادته تعالى أن لا يجعل لهم حظاً في
 الآخرة موجبة ، أن سبب ذلك هو مريد له تعالى وهو : الكفر . ومن مذهبه أنه تعالى لا يريد
 الكفر ولا يشاؤه ، فتأول تعلق إرادته بانتفاء حظهم من الآخرة بتعلقها بانتفاء رحمته لهم
 لفرط كفرهم . .

ونقل الماوردي في يريد ثلاثة أقوال : أحدها : أنه يحكم بذلك . والثاني : يريد في الآخرة
 أن يحرمهم ثوابهم لإحباط أعمالهم بكفرهم . والثالث : يريد يحبط أعمالهم بما استحقوه من
 ذنوبهم قاله : ابن إسحاق . { إِنَّ السَّاعِرِينَ اشْتَرَوْا الْكَفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ
 يَضُرُّوهُمُ الْكُفْرُ شَيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } هذا عام في الكفار كلهم . وقوله
 : { وَلَا يَحْزُنُكَ السَّاعِرُونَ فِي الْكَفْرِ } كان عاماً ، فكرر هذا على
 سبيل التوكيد وإن كان خاصاً بالمنافقين أو المرتدين أو كفار قريش ، فيكون ليس تكريراً
 على سبيل التأكيد ، بل حكم على العام بأنهم لن يضروا شيئاً . ويندرج فيه ذلك الخاص
 أيضاً ، فيكون الحكم في حقهم على سبيل التأكيد ، ويكون قد جمع للخاص العذاب بنوعية من
 العظم والألم ، وهو أبلغ في حقهم في العذاب . وجعل ذلك اشتراء . من حيث تمكنهم من قبول
 الخير والشر ، فأثروا الكفر على الإيمان . { وَلَا يَحْزُنُكَ السَّاعِرُونَ كَفَرُوا }
 أَزْهَمَ أَمْ لَمْ يَزِدْ لَهُمْ خَيْرٌ لَّانْفُسِهِمْ إِنْ زَمَّ مَا زَمَّ لِي لَهْمٌ لِّيَزِيدَ دَادُوا
 إِنْ زَمَّ مَا { معنى نملي : نمهل ونمد في العمر . والملاءة المدة من الدهر ، والملوان الليل
 والنهار . ويقال : ملاك الله نعمته ، أي منحها عمراً طويلاً ، وقرأ حمزة تحسين بتاء
 الخطاب ، فيكون الذين كفروا مفعولاً أول . ولا يجوز أن يكون : إنما نملي لهم خير ، في
 موضع المفعول الثاني ، لأنه ينسبك منه مصدر المفعول الثاني في هذا الباب هو الأول من حيث

المعنى ، والمصدر لا يكون الذات ، فخرج ذلك على حذف مضاف من الأول أي : ولا تحسبن شأن الذين كفروا . أو من الثاني أي : ولا تحسبن الذين كفروا أصحاب ، أنَّ الإملاء خير لأنفسهم حتى يصح كون الثاني هو الأول . وخرجه الأستاذ أبو الحسن بن الباذش والزمخشري : على أن يكون إنما نملي لهم خير لأنفسهم بدل من الذين . قال ابن الباذش : ويكون المفعول الثاني حذف لدلالة الكلام عليه ، ويكون التقدير : ولا تحسبن الذين كفروا خيرية إملأنا لهم كائنة أو واقعة . وقال الزمخشري : (فإن قلت) : كيف صح مجيء البديل ولم يذكر إلا أحد المفعولين ، ولا يجوز الاختصار بفعل الحسبان على مفعول واحد ؟ (قلت) : صح ذلك من حيث أن التعويل على البديل والمبدل منه في حكم المنحي ، ألا تراك تقول : جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع سكوتك على متاعك انتهى . كلامه وهذا التخريج الذي خرجه ابن الباذش والزمخشري سبقهما إليه الكسائي والفراء ، فالأوجه هذه القراءة التكرير والتأكيد . التقدير : ولا تحسبن الذين كفروا ، ولا تحسبن إنما نملي لهم . قال الفراء ومثله : هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم ، أي ما ينظرون إلا أن تأتيهم انتهى . وقدر بعضهم قول الكسائي والفراء فقال : حذف المفعول الثاني من هذه الأفعال لا يجوز عند أحد ، فهو غلط منهما انتهى . .

وقد أشبعنا الكلام في حذف أحد مفعولي ظن اختصارا